العرب
السبت 2020/05/16
السنة 42 العدد 11704

مخاطر احتدام الصراع الأميركي – الصيني

د. خطار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للجيوبوليتيك-باريس

يتفاقم السجال الأميركي – الصيني على خلفية أزمة جائحة كورونا، وبينما يتوقع البعض تصاعد الصراع ليصل إلى مواجهة عسكرية طالما تجنبها الكبار، يمثل تهديد الرئيس دونالد ترامب بقطع العلاقات مع الصين منعطفا دقيقا في سنة الانتخابات الأميركية الرئاسية واستمرار الرئيس شي جين بينغ في تسريع نهجه لإزاحة الولايات المتحدة من موقع الصدارة العالمية.

نادرا ما وصل العداء بين رئيسين أميركي وصيني كما يحصل بين ترامب وشي، ولذا يصح التساؤل إلى أي مدى ستذهب المواجهة الأيديولوجية والاقتصادية والتكنولوجية بين الولايات المتحدة والصين؟

تتراكم في السنوات الأخيرة ملفات التجاذب ما بين القوتين العالميتين البارزتين منذ ما قبل زمن كورونا، وازداد وقع الصراع مع الإدارة الأميركية الحالية لأن دونالد ترامب كان أول زعيم أميركي وغربي يشهر العداء بشكل مباشر ضد الصين في ما بعد ماو، ولأن شي جين بينغ قام بتغيير نهج الصين، ثاني اقتصاد في العالم، متحديا الغلبة الأميركية في نظام دولي متخبط. تغيرت الحقب والأدوار منذ انفتاح ريتشارد نيكسون (بصحبة هنري كيسنجر على الصين) حيث كان هناك رهان أميركي على أن التطور المستمر للتجارة مع الصين، سيؤدي بلا شك إلى شكل من أشكال التحرير السياسي للنظام في بكين. وهكذا تصور تلامذة جيفرسون أن ازدهار العلاقات الاقتصادية مع آخر أكبر الأنظمة الشيوعية في العالم وإثراء الطبقة الوسطى الصينية سيؤدي تلقائيا إلى تطور النظام. ولذا لم يكن هناك من رد فعل كبير بعد سحق الحركة المؤيدة للديمقراطية في ميدان تيان آن مين في 1989 (في موازاة قرب نهاية الاتحاد السوفييتي) حيث تمسك الحزبان الديمقراطي والجمهوري بنفس الأسس التجارية والتحليل الإيديولوجي لتطور العلاقة مع التنين الصيني.

لكن الحسابات والرهانات الأميركية كانت خاطئة إذ أن الصين المتسلحة بمقومات "القوة الناعمة" (السوفت باور) انتقلت اعتبارا من العام 2008 من القوة الصامتة إلى القوة المؤثرة. ومع النمو الاقتصادي والتغلغل في قلب السوق الأميركية والتحول عمليا إلى "مصنع العالم" استفاد النظام الشيوعي من حسنات العولمة الرأسمالية من دون التأقلم مع أيديولوجيتها، بل تميزت مرحلة شي جين بينغ بتشدد ملحوظ وتصميم على تحجيم الدور القيادي الأميركي، بالتزامن مع استكمال إعادة تكوين السلطة بشكل إمبراطوري كما تشهد العروض التاريخية للجيوش الصينية والانخراط في سباق التسلح وتطوير القوتين البحرية والفضائية و"طريق الحرير الجديدة" والتوسع الاقتصادي حول العالم والسعي للهيمنة في الجوار المباشر. والأهم انغماس الحزب الشيوعي في إخضاع البلاد لرئيس على مدى الحياة.

وهكذا تم تلقيح الماركسية اللينينية بوصفة ماوية وصلصة شي جين بينغ من خلال الثورة الرقمية لإحكام المراقبة (كما تصور يوما جورج أورويل في كتابه الشهير 1984) مما يزيل كل أشكال المعارضة بالرغم من ثغرات توزيع الثورة والفوارق بين الريف والمدن ومشاكل المكونات الأقلية.

وثبت أن التحرر الاقتصادي لا ينتج عنه حكم تحرر سياسي، بل إننا أمام المزيد من السلطوية استنادا إلى التقاليد الصينية العتيقة ومنع أي انتقاد خارجي عبر التسلح بقوة الضرب الاقتصادية، ولأن الغرب بالرغم من تباياناته لا يعترف عمليا بوصول الصين إلى مرتبة القوة العظمى.

أدرك باراك أوباما مدى التقدم الصيني ومن هنا كانت نظريته حول "الاستدارة الأميركية نحو آسيا والمحيط الهادئ" وذلك لمواجهة الصين مع رهان على دعم حلفائه الأوروبيين، لكنه لم يذهب بعيدا وبقي في طور التخطيط. وعلى العكس وتحت شعار "أميركا أولا" بدأ دونالد ترامب حربه التجارية واختبار القوة مع شين جين بينغ، مع الوعيد بتصعيد كل ذلك في حال إعادة انتخابه. لكن في المقابل يؤمن بينغ بتفوق "النموذج الصيني" وإنجازاته الاستثنائية وتشكيل المشهد الاقتصادي المستقبلي عالميا تماما كما فعلت الولايات المتحدة بعد عام 1945، استنادا إلى ثقلها الاقتصادي وطفرتها التكنولوجية لتشكيل عالم أقرب ما يمكن لمصالحها، مع الحفاظ على طريقة حكمها وتشويه سمعة النظام الديمقراطي الكلاسيكي الليبرالي السائد. وهكذا مقابل التبشيرية الأميركية الديمقراطية (النفعية الليبرالية) تقوم الدعاية الصينية على القناعة الأيديولوجية والتركيز على النموذج الاقتصادي الجديد.

ولذا تحاول الصين احتواء الهجمة الإعلامية الأميركية والاكتفاء عند الرد على تهديد ترامب حول قطع الصلات الدبلوماسية بالقول إن "استقرار العلاقات في صالح البلدين". لكن الواقع يشير إلى عكس ذلك إذ أن جائحة كوفيد – 19 وعواقبها الاقتصادية جاءت لتنضم إلى لائحة الاتهام التي سطرتها الولايات المتحدة ضد القادة الصينيين: عدم قبول منهجي لقواعد المنافسة التجارية. "القرصنة الرقمية الصناعية والتكنولوجية"؛ رفض المعاملة بالمثل في العديد من المعاملات الاقتصادية؛ استخدام القوة في بحر الصين الجنوبي؛ الاختلاف حول تايوان وخلافات أخرى من كوريا الشمالية إلى إيران.

يخفي الجدل الحالي حول منشأ فايروس كورونا المستجد (مختبر ووهان كما يقول بومبيو أو مختبرات الجيوش الأميركية كما تقول مصادر صينية) احتدام معركتي التفوق الاقتصادي والتكنولوجي، وهنا يصبح السبق في اكتشاف لقاح الفايروس التاجي أهمية جيوسياسية لدى الأميركيين والصينيين والأوروبيين واليابانيين والروس وكل المنخرطين في هذا السباق.

ومما لا شك فيه أن تحول الولايات المتحدة إلى البؤرة الأولى لانتشار وباء كوفيد – 19 وأول بلد في عدد الضحايا، يجعل من مسألة العلاقة مع الصين أحد أبرز محاور الحملة الانتخابية الرئاسية ويؤجج ترامب تسخين العلاقات الصينية الأميركية. وسيكون التحدي الكبير أمام واشنطن (خاصة في حال إعادة انتخاب ترامب) الذهاب نحو محاولة "فصل" الاقتصاد الأميركي عن الاقتصاد الصيني مع ما يعنيه ذلك من إبعاد الشركات الصينية من "وول ستريت" وتقنين علاقات وادي السيليكون مع "التكنولوجيا العالية" الصينية، والحد من استثمارات الصين في رأسمال صناديق المعاشات التقاعدية العامة الاتحادية.

على أبواب الانتخابات الأميركية، ستحتدم المواجهة مع الصين وسيصعب ضبطها أو ترتيب صفقات تبادلية خاصة وأن دونالد ترامب وشي جين بينغ لا يعتزمان التنازل في المدى المنظور، ولا يستبعد الذهاب إلى الأسوأ في حال عدم التوصل إلى تفاهمات ما بعد زمن كورونا.

الإطار القيادي الفلسطيني المعطل

عدلي صادق
كاتب وسياسي فلسطين

دعا رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس إلى اجتماع في مكتبه في رام الله، يوم السبت المقبل. وسرعان ما بادرت ثلاث قوى فلسطينية رئيسة إلى رفض هذه الدعوة باعتبارها أقل بكثير مما تتطلبه مخاطر اللحظة وما فيها من جموح إسرائيلي – أميركي لضم الأراضي المحتلة في العام 1967.

في حالات العبث والهُزال، والتمادي في السياسات الخاطئة، يمكن أن يصبح الموقف السلبي عنصرا إيجابيا مساعدا على تصويب السياسات الرديئة. ذلك علماً بأن الطيف الفصائلي الفلسطيني كله، وبلا استثناء، أسهم في حال التردي السياسي والكياني، وفي إرهاق المجتمع الفلسطيني والتسبب في الكثير من شقاءاته!

الاجتماع الذي دعا إليه عباس لن يمثل علامة فارقة بين سياق عقيم وآخر إيجابي، لأن شكل وفحوى هكذا اجتماعات، تُعقد في مكتب الرئيس الفلسطيني، لا يُنتجان سوى المزيد من العجز والتفرد والعُقم. لذا فمن عين الصواب عدم التماشي مع دعوته إلى اجتماع من هذه الشاكلة، لأنه لا يجري في إطار بُنية مؤسسية، وليس له نظام داخلي مُلزم، ولا تصويت فيه، وليست محددة الأحقية في الحضور أو صفات الحاضرين، ولا يشهد مثل هذا الشكل من الاجتماعات أي نقاش جدي فيه الحد الأدنى من الحرية والموضوعية. فإن كانت اجتماعات المجلسين الوطني والمركزي لمنظمة التحرير، بكل أكلافها وضجيجها، وما اتخذته من قرارات، ظلت حبيسة في أدراج مكتب عباس، ليتأكد أنها مجرد جلسات لا قيمة لها، وأن قراراتها حبر على ورق، فما الذي سيكون حال اجتماع يجلس عباس على رأسه متقمصاً إهاب الديك، فيقاطع وقتما يريد، ويزجر من يريد، ويوبخ صاحب كل ذي رأي لا يعجبه، بينما المشهد كله يدور تحت قبضة الاحتلال، الذي سيتلقى بث الوقائع على الهواء مباشرة!

كانت الفصائل التي تحضر هذا النمط الفارغ من الاجتماعات، ملومة على حضورها. على الأقل، لأنها تشارك في توفير الغطاء لعملية إقصاء السياسة عن المجتمع الفلسطيني، ومعاملة القوى السياسية باعتبارها راضخة ومهددة بقطع مخصصاتها، ولم يكن ممثلو الفصائل الوازنة في المجتمع يستطيعون الوصول إلى "المقاطعة" حيث مقر عباس في الأراضي المحتلة، ويكون الهدف من الاجتماع أصلاً ينحصر في إصدار بيان يفيد أن عباس جمع ممثلي الشعب الفلسطيني وأدى الواجب.

هذا الأسلوب هو أدنى بكثير من مستوى الأداء السياسي للجمعيات الفلسطينية الاجتماعية والثقافية في العام 1918عندما لم يكن لدى الفلسطينيين أي إطار سياسي ذي صفة تمثيلية. ويواجه الفلسطينيون اليوم قوة احتلال استجمعت كل متطرفيها لكي تنفذ عملية ضم الأراضي في الضفة، ومعها إدارة أميركية مفرغة من العقل ومن العلم بالتاريخ والسياسة، وتمثل كتلة من الشر والعنصرية والاستهتار بالعالم. لذا فإن الأجدر بالفلسطينيين أن يجمعوا أشتاتهم. لكن الذي يجري للأسف، أن عباس ومن يجتمعون معه ومن يعارضونه اختاروا أن يظل الشعب الفلسطيني بلا مؤسسات دستورية أو حتى مؤسسات وأطر تتشكل عشوائياً لكنها تنضبط لنظام عمل. بينما شعب فلسطين يرابط على أرضه، ويكابد الشقاء والعوز!

النقطة الإيجابية وسط هذا الركام، أن الشعب الفلسطيني بالمعيار التاريخي، لم يفقد أوراقه المؤثرة، فضم الأراضي مع بقائه تحت الاحتلال، يعطيه العزم على إعادة المعادلة الطبيعية إلى وضعها المؤرق للاحتلال، إذ سيؤدي الضم موضوعياً إلى انهيار السلطة، ولكي تبقى إسرائيل طوال حياتها تنام على وسادة القلق الوجودي، لأن شعباً آخر، هو شعب البلاد الأصلي وصاحبها، لن يكف عن نشدان الحرية واستعادة الحق في الاستقلال والعدالة، لاسيما وأن هذا الحق، بكل تفصيلاته، منصوص عليه في القرارات الأممية، وأن قوة الاحتلال تمارس القتل والعدوان على مدار الساعة، وتُعيد إحياء نظام الفصل العنصري، وتحافظ على الاحتلال العسكري الوحيد التي تبقى في العالم.

إن ما يشوش على هذه المعادلة هو وجود سلطة فلسطينية هكذا ممارساتها، وهكذا اجتماعاتها، وبلا بُنية نظامية وبلا دستور، يقودها فرد وهذا الفرد يتمسك بمنصبه حتى الرمق الأخير، ويختطف صلاحيات النظام السياسي ومؤسساته، ولا يزال على هذه الحال، عندما أعجزته شيخوخته عن التفكير وأصبح خاضعاً لتلقين الحلقة الضيقة!

السلطة الفلسطينية وجدت منذ سنوات أن مصلحتها تكمن في مساعدة الاحتلال على تكريس الرضوخ بذريعة الأمن وإحباط أي حراك شعبي أو مطلبي. وإسرائيل، من جانبها، تعتقد أن هذا يلائم مستقبلها ويساعد على تنفيذ خططها. ومثلما هم المتطرفون الذين يستندون إلى الأصوليات الغبية ولجهلهم بالتاريخ، ظن قادة اليمين الإسرائيلي أنهم أنهوا المشكلة ويحسمون الأمر تاريخياً!

لقد غزا الهولنديون جنوب أفريقيا في منتصف القرن السابع عشر، ثم جاء البريطانيون فطردوهم في العام 1806 وأسسوا جمهوريتهم العنصرية المقيتة على أرض الشعب الجنوب أفريقي وحكموه بالحديد والنار. وبدل من النظر اليوم إلى مآلات وخواتيم ذلك المشروع، فإن إدارة ترامب واليمين الإسرائيلي ينظرون إلى بداياته. فخطط الضم وتأطير الشعب الفلسطيني داخل حدود المساحات الجغرافية التي يتمسك فيها الاحتلال، ليست إلا عملاً في سياق مشروع فصل عنصري وسرقة أراضي شعب آخر. إن مثل هذا الوضع هو الأنسب والأوجب في ثقافة دونالد ترامب ومساعديه. لكن الأنسب والأوجب والمؤكد، في سنن التاريخ، أن هكذا تجارب لن تدوم، ولا بد أن يأتي اليوم الذي تطوي فيها كل راياتها، وتخسر نفسها وتغادر مهزومة وفي خزي، تلاحقها اللعنات، ثم تتحول إلى نقطة سوداء في تاريخ شعوبها وأديانها. أما المتخاذلون والمتواطئون المحليون، فإنهم إما يلوذون بالفرار غير مأسوف على سحناتهم، أو يعيشون في بلادهم أذلاء ويُؤخذون عبرة لمن يعتبر.

> اجتماعات عباس باتت معلومة الفحوى. فالرجل يمارس لعبة التذاكي وهواية عرض العنفوان اللفظي الذي لا يلقى سوى السخرية والتضاحك من قبل نتنياهو ومن معه. ولم يعد رئيس الفلسطينيين قادراً على خداع حتى السذّج من شعبه

اجتماعات عباس باتت معلومة الفحوى. فالرجل يمارس لعبة التذاكي، وهواية عرض العنفوان اللفظي الذي لا يلقى سوى السخرية والتضاحك من قبل نتنياهو ومن معه. ولم يعد رئيس الفلسطينيين قادراً على خداع حتى السذج من شعبه، وبخاصة عندما يلعن الأب الذي أنجب سفير ترامب لدى نتنياهو أو يلعن ترامب نفسه وتصفق له الحاشية. فالفلسطينيون يعلمون أن جدية اللعنة عندما صدرت على لسان رئيس بنما مانويل نورييغا في العام 1989 جعلت الأميركيين يغزون بلاده ويقبضون عليه ويعلقون في رقبته لافتة برقمه كسجين، علماً بأنه كان عميلاً للاستخبارات المركزية الأميركية!

في الحقيقة، لا يُنتظر من عباس أي عمل في الاتجاه الصحيح، فالعكس هو ما يُنتظر في كل يوم، وبخاصة على مستوى السياسات الاجتماعية. وعلى الرغم من ذلك لا بد من تفعيل "الإطار القيادي" الفلسطيني الذي تم اختراعه قبل سنوات لملء شيء من فراغ النظام السياسي الفلسطيني، وأصر عباس على عدم تفعيله. لكن الطر وصل إلى الذروة، وأصبحت السلطة والمواثيق الدولية والمكتسبات السياسة في العالم، وأكلاف الطائرة الرئاسية ورحلات الوفود؛ في موقد النار، ولم يعد أمام الطيف الباقي من أصحاب العناوين التحريرية، سوى الاجتماع في مكان لا تصل إليه سيارات جيش الاحتلال للتوافق على استراتيجية عمل وطني ذات طابع تاريخي وديمقراطي، والإصرار إلى إعلاء شأن القضية ودق كل الأجراس.